No 4A العدد 4A
2026 آب Aug 2026
مجلة ساوة للدراسات الانسانية
Sawah Journal of Humanities
E-ISSN 3106 - 8324 P-ISSN 3106 - 8316
مجلة محكمة تصدر عن جامعة ساوة الاهلية

# الحجاج اللغوي في الخطاب العربي: مراجعة في الآليات والأدوات

**مقال مراجعة**

م. م. عبدالجبار سعود علوان
وزارة التربية. المديرية العامة لتربية الانبار
bdaljbarswdlwan@gmail.com

**الملخص**

تقدّم هذه المراجعة قراءةً أكاديميةً لمفهوم الحجاج اللغوي في الخطاب العربي، بوصفه فعلاً لغوياً وتداولياً يتجاوز حدود البرهنة المنطقية والزخرفة البلاغية إلى بناء مسارات إقناعية موجّهة نحو المتلقي. وتنطلق الدراسة من فرضية أن العربية، بما تمتلكه من نظام نحوي وبلاغي ودلالي غني، تتيح إنتاج الأثر الحجاجي عبر الروابط والعوامل، وصيغ التوكيد والقصر، والبنى التركيبية، والصور البيانية، واستراتيجيات المقام. وتعيد المراجعة وصل الدرس الحجاجي الحديث بجذوره في التراث البلاغي العربي، ولا سيما مفاهيم البيان، والنظم، ومقتضى الحال، والتخييل، والشاهد، ثم تتتبع تحوّله في اللسانيات والتداولية وتحليل الخطاب عند عدد من الباحثين العرب المعاصرين. وتكمن أهمية الموضوع في كونه يكشف عن قدرة اللغة على تنظيم الرأي وتوجيه الاستدلال وصناعة القبول داخل النصوص والخطابات المتداولة. وتؤكد المقالة أن تحليل الحجاج في العربية لا يستقيم بمنهج أحادي؛ بل يحتاج إلى مقاربة تكاملية تجمع بين الدقة اللغوية، والحس البلاغي، والوعي التداولي، مع مراعاة صورة المتكلم، وبنية المتلقي، وسلطة السياق. كما تميز المراجعة بين الحجاج المشروع، القائم على الإفهام والتدليل، والمغالطة القائمة على التلاعب والإكراه الرمزي. وتخلص إلى ضرورة توسيع المدونات التطبيقية لتشمل الخطابات السياسية والدينية والإعلامية والرقمية، وبناء معجم اصطلاحي عربي أكثر ضبطاً واستقراراً في مجال الحجاج، بما يعزز حضور البلاغة العربية في تحليل الخطاب المعاصر والبحث الأكاديمي المتخصص في قضايا الإقناع العربي اليوم المتجدد.

الكلمات المفتاحية: الأدوات التداولية؛ الحجاج؛ الخطاب العربي؛ الروابط الحجاجية؛ البلاغة العربية.

# Linguistic Argumentation in Arabic Discourse: A Scholarly Review of Mechanisms and Analytical Tools

Abduljabbar Saud Alwan

**Abstract**

This review offers an academic examination of linguistic argumentation in Arabic discourse as a linguistic and pragmatic act that moves beyond formal proof and ornamental rhetoric toward the construction of persuasive paths directed at the recipient. It proceeds from the assumption that Arabic, with its rich grammatical, rhetorical, and semantic system, enables argumentative effect through connectors and operators, emphasis and restriction, syntactic organization, figurative imagery, and context-sensitive strategies. The review reconnects modern theories of argumentation with their roots in classical Arabic rhetoric, particularly eloquence, composition, appropriateness to context, imaginative representation, and citation-based support, before tracing their development in linguistics, pragmatics, and discourse analysis among contemporary Arab scholars. The significance of the topic lies in showing how language organizes opinion, guides inference, and produces acceptance within texts and public discourse. The article argues that Arabic argumentation cannot be adequately studied through a single method;

rather, it requires an integrated approach combining linguistic precision, rhetorical awareness, and pragmatic sensitivity, while considering the speaker's ethos, the recipient's assumptions, and the authority of context. It also distinguishes legitimate argumentation, grounded in explanation and evidence, from fallacious persuasion based on manipulation and symbolic coercion. The review concludes by calling for broader applied corpora covering political, religious, media, and digital discourse, and for a more stable Arabic terminology in argumentation studies.

Keywords: Arabic discourse; argumentative connectors; linguistic argumentation; pragmatics; rhetoric.

**المقدمة**

يمثّل الحجاج اللغوي أحد المداخل المركزية لفهم اشتغال الخطاب العربي؛ لأنه لا يتعامل مع اللغة بوصفها وعاءً محايداً لنقل المعنى، بل بوصفها فعلاً موجهاً إلى بناء الاقتناع وتعديل المواقف وترجيح النتائج. ومن ثمّ فإن مراجعة آلياته وأدواته تكشف عن صلة عميقة بين البلاغة العربية القديمة ومقاربات اللسانيات التداولية وتحليل الخطاب الحديثة؛ فقد جعل التراث البلاغي البيان والنظم ومقتضى الحال والتخييل والشاهد عناصر فاعلة في إنتاج الأثر، لا مجرد مباحث مدرسية منفصلة عن وظيفة الكلام في التأثير والإفهام (الجرجاني، ١٩٩٥، ص. ٨١) .

وتنبع أهمية هذه المراجعة من أن العربية تمتلك بنية نحوية وبلاغية ودلالية قادرة على توليد مسارات حجاجية دقيقة؛ فالتقديم والتأخير، والتوكيد، والقصر، والشرط، والنفي، والاستثناء، والاستفهام، والربط، والاستعارة، كلها اختيارات لغوية لا تُفهم على مستوى الشكل وحده، بل على مستوى الوظيفة التي تؤديها داخل المقام. وقد أظهرت الدراسات اللسانية العربية أن الروابط والعوامل الحجاجية لا تعمل بوصفها أدوات وصل شكلية، وإنما بوصفها مؤشرات تنظّم اتجاه الاستدلال وتحدد درجة قوة النتيجة وقابليتها للقبول (العزاوي، ٢٠٠٦، ص. ٢٢) . ولا تقتصر الحاجة إلى درس الحجاج على النصوص التراثية، بل تمتد إلى الخطابات السياسية والدينية والإعلامية والنقدية والرقمية؛ إذ أصبحت هذه الخطابات تُنتج المعنى في فضاءات تتداخل فيها المعرفة بالسلطة، واللغة بالصورة، والحجة بالانفعال. ومن هنا يصبح تحليل الحجاج في العربية ضرورة منهجية لفهم كيفية انتقال الخطاب من عرض الدعوى إلى تثبيتها، ومن تقديم الدليل إلى إدارة الاعتراض، ومن استعمال الشاهد إلى بناء سلطة المتكلم وصورة المتلقي (الشهري، ٢٠٠٤، ص. ٥٥) . وتسعى هذه المقالة، بوصفها مراجعة نظرية تركيبية، إلى قراءة اتجاهات الدرس العربي التي قاربت الحجاج من داخل البلاغة واللسانيات والتداولية وتحليل الخطاب، من غير اختزاله في البرهنة المنطقية أو في الزينة الأسلوبية. فالحجاج في الخطاب العربي يتكوّن غالباً من تفاعل بين البنية اللغوية، والسلطة المقامية، وصورة المتكلم، ومعرفة المتلقي، ونوعية النص؛ لذلك تُعنى هذه المراجعة بتحديد المفهوم، وتتبع جذوره البلاغية، وبيان آلياته اللسانية وأدواته التداولية، ثم اقتراح أفق إجرائي يساعد الباحث على تحليل النصوص العربية تحليلاً أكثر دقة واتساقاً (خطابي، ١٩٩١، ص. ٢١) .

**المفهوم وحدوده الاصطلاحية**

يدل الحجاج في استعماله العام على تقديم الحجج لإثبات دعوى أو دفع اعتراض، غير أن الحجاج اللغوي يخصّص النظر في الوسائل التي تجعل القول نفسه حاملاً لاتجاه استدلالي. فالقول لا يكتفي بإخبار المتلقي بواقعة، بل يوجهه إلى نتيجة معينة عبر علامات ظاهرة أو ضمنية. وبذلك يصبح معنى العبارة مرتبطاً بما تتيحه من إمكانات استنتاجية: فـ"لكن"، و"بل"، و"حتى"، و"إنما"، و"إذن" ليست ألفاظاً زائدة، بل أدوات

تنظم سير الحجة وتحدد قوة الانتقال من المعطى إلى النتيجة. وقد ركّز أبو بكر العزاوي على هذا البعد حين جعل الروابط والعوامل الحجاجية جزءاً من بناء المعنى في العربية، لا مجرد عناصر ربط شكلية (العزاوي، ٢٠٠٦، ص. ٢٢). ينبغي التمييز بين الحجاج والبرهان والمناظرة والجدل. فالبرهان يميل إلى الصرامة المنطقية، بينما يتعامل الحجاج مع الممكن والراجح والمقبول في مقام تداولي محدد. والمناظرة صورة مؤسسية للحجاج، أما الجدل فيتسع للصراع بين الأطراف وقد ينزلق إلى المغالطة. وقد نبّه طه عبد الرحمن إلى أن التخاطب الإنساني لا ينفصل عن وظائف التبليغ والتدليل والتوجيه، وهو ما يجعل الحوار العربي الإسلامي مجالاً غنياً لدراسة انتقال الخطاب من عرض الفكرة إلى بناء الالتزام بها (طه عبد الرحمن، ١٩٨٧، ص. ٤٥). أما في الدراسات الحديثة، فقد توسع المفهوم ليشمل البنى النصية والسياقية التي تنظم القبول والرفض والاعتراض. ويفيد هذا التوسع في مراجعة الخطاب العربي؛ لأن النصوص العربية، قديماً وحديثاً، لا تعتمد دائماً على تصريح مقدمات الحجة ونتيجتها، بل كثيراً ما تشتغل بالتلميح، والتضمين، والاستشهاد، والتحويل المقامي. لذلك تبدو نظرية الحجاج مفيدة حين تقرأ النص بوصفه مساراً من التوجيهات المتراكبة لا مجرد مجموعة جمل متتابعة (صولة، ٢٠١١، ص. ١٧).

**الجذور البلاغية للحجاج في التراث العربي**

يُظهر التراث البلاغي العربي وعياً واضحاً بأن جودة الكلام لا تنفصل عن قدرته على الإفهام والتأثير. ففي البيان والتبيين، يتقاطع حسن العبارة مع ملاءمة المقام واستعداد السامع، وهذا التقاطع هو أساس كل فعل حجاجي ناجح؛ إذ لا يكفي أن تكون الحجة صحيحة في ذاتها، بل يجب أن تصاغ على نحو يجعلها نافذة إلى المتلقي. ومن هنا يمكن القول إن البلاغة العربية القديمة لم تستعمل لفظ الحجاج بالمعنى اللساني الحديث دائماً، لكنها مارست تحليله من خلال مباحث البيان، والمقام، والاحتجاج، والاستشهاد (الجاحظ، ٢٠٠٢، ج. ٢، ص. ٨٤). يأتي عبد القاهر الجرجاني في صدارة المنظّرين الذين يمكن إعادة قراءة جهودهم حجاجياً، لأن نظرية النظم عنده تجعل المعنى ثمرة للعلاقات لا للألفاظ المنعزلة. فالتقديم والتأخير، والحذف، والذكر، والتعريف، والتنكير، ليست اختيارات تزيينية، بل قرارات خطابية تغير وجه الاستدلال وتضبط درجة الإلزام. وإذا كان المتكلم يضع اللفظة في موقع مخصوص ليولد معنى مخصوصاً، فإن الحجاج يتكون من هندسة هذا الموقع داخل الجملة والنص (الجرجاني، ١٩٩٥، ص. ٨١). وفي أسرار البلاغة تتضح قيمة التشبيه والاستعارة والتمثيل في نقل الفكرة من مستوى التجريد إلى مستوى المشاهدة الذهنية. فالاستعارة ليست صورة جمالية فحسب، بل أداة حجاجية حين تجعل المتلقي يرى الدعوى في صورة محسوسة أو مألوفة، وبذلك تقرّب النتيجة وتخفف مقاومتها. ويمكن في ضوء ذلك تفسير كثرة الصور البيانية في الخطب والرسائل والوصايا العربية؛ لأنها لا تزيّن الدليل فقط، بل تبني قبولاً نفسياً ومعرفياً له (الجرجاني، ٢٠٠١، ص. ٥٤).

أما السكاكي فقد أسهم في ضبط شبكة العلوم البلاغية ضمن تصور يراعي مقتضى الحال، وهو مفهوم مركزي في كل دراسة حجاجية؛ لأن الحجة لا تكتسب قوتها من بنيتها الداخلية وحدها، بل من ملاءمتها لحال المتكلم والمخاطب والموضوع. فالتأكيد مثلاً يكون حجاجياً عندما يرد في مقام إنكار أو تردد، والقصر يكون مؤثراً حين يوجه المتلقي إلى حصر الحكم في جهة بعينها، لا حين يرد مجرد صيغة نحوية (السكاكي، ١٩٨٧، ص. ٢٢٦). ولم يكن ابن الأثير بعيداً عن هذا الأفق؛ إذ عالج في المثل السائر خصائص الصياغة المؤثرة، ووقف عند وجوه التفنن في العبارة والإيجاز والإطناب والتكرار. ومن منظور حجاجي، يمكن قراءة هذه الظواهر بوصفها وسائل لتدبير انتباه المتلقي وتثبيت المعنى وإحداث أثر ترجيحي. فالإطناب ليس دائماً حشواً، بل قد يكون استكمالاً لحجة تحتاج إلى بسط، والتكرار ليس دائماً ضعفاً، بل قد يكون آلية ترسيخ وإلحاح (ابن الأثير، ١٩٩٩، ج. ١، ص. ٩٨). ويضيف حازم القرطاجني بعداً مهماً حين يربط البلاغة بآثار التخييل والتأثير في النفس، الأمر الذي يجعل خطابه قريباً من البلاغة الحجاجية الحديثة. فحازم لا ينظر إلى القول من جهة بنائه اللغوي فقط، بل من جهة ما يحدثه في المتلقي من قبول أو انفعال أو استعداد للتصديق. وهذا البعد النفسي التداولي يكشف أن الحجاج العربي القديم كان واعياً بضرورة الجمع بين الاستدلال والإثارة والتخييل في إنتاج الاقتناع (القرطاجني، ١٩٨٦، ص. ٦٢).

**اللسانيات والتداولية وتحول الحجاج إلى أداة تحليل**

مع تطور اللسانيات العربية الحديثة، انتقل الاهتمام من الجملة المفردة إلى النص والخطاب، ومن المعنى المعجمي إلى المعنى المستعمل في سياق. وقد أسهم تمام حسان في توجيه الدرس اللغوي إلى علاقة المبنى بالمعنى، وهي علاقة حاسمة في فهم الحجاج؛ لأن الأثر الإقناعي لا ينتج من المعجم وحده، بل من تضافر القرائن اللفظية والمعنوية والمقامية. فالنظام اللغوي العربي يتيح للمتكلم اختيارات متعددة، وكل اختيار منها يفتح مساراً مختلفاً للتوجيه (حسان، ٢٠٠٦، ص. ٢٣).

وفي النحو الوظيفي العربي، يبرز أحمد المتوكل الوظائف التداولية للجملة، مثل البؤرة والمحور، بما يساعد على تفسير كيفية توزيع المعلومة داخل القول. فحين يقدم المتكلم عنصراً أو يؤخره، أو يجعله بؤرة مقابلة، فهو لا ينظم العبارة نحوياً فقط، بل يحدد ما يريد أن يجعله موضع اهتمام أو اعتراض أو إثبات. وبذلك تتحول الوظائف التداولية إلى آليات حجاجية كامنة في ترتيب المكونات (المتوكل، ١٩٨٥، ص. ٢٨).

أما لسانيات النص فقد أضافت إلى الحجاج بعداً ترابطياً؛ إذ لا تُفهم قوة الحجة من جملة واحدة دائماً، بل من شبكة إحالات وروابط وتكرارات وتدرجات تمتد في النص كله. وقد أظهر محمد خطابي أهمية الانسجام في بناء الخطاب، وهو ما يفيد في دراسة الحجاج لأن النص المقنع يحتاج إلى مسار منظم يجعل النتائج تبدو منسجمة مع المقدمات والسياق العام (خطابي، ١٩٩١، ص. ٢١).

وقد أسهم مسعود صحراوي في تأصيل التداولية داخل التراث اللساني العربي، ولا سيما من خلال الأفعال الكلامية. وتكمن فائدة هذا التأصيل في أن الحجاج ليس مجرد علاقة بين قضايا، بل هو فعل كلامي ينجز وعداً أو تهديداً أو أمراً أو نصحاً أو تبريراً. ولذلك فإن دراسة قوة القول الإنجازية ضرورية لفهم كيف يتحول التلفظ إلى ضغط حجاجي مشروع أو غير مشروع (صحراوي، ٢٠٠٥، ص. ٣١).

وفي الاتجاه نفسه، يربط خليفة بوجادي التداولية بالاستعمال والتفاعل والسياق، وهو ربط مهم لأن الحجاج لا يقع في فراغ. فالأداة اللغوية الواحدة قد تحمل قوة حجاجية مختلفة بحسب المقام؛ فالاستفهام قد يكون طلباً للعلم، وقد يكون إنكاراً، وقد يكون تقريراً، وقد يكون تعريضاً. ومن هنا لا يمكن فصل الآليات اللغوية عن سياقاتها التداولية (بوجادي، ٢٠٠٩، ص. ٦٧).

**الآليات اللغوية للحجاج**

يمكن تصنيف آليات الحجاج اللغوي في الخطاب العربي إلى أربع مجموعات كبرى: الروابط والعوامل، والبنى التركيبية، والوسائل البلاغية، والاستراتيجيات التداولية. الروابط الحجاجية هي الأدوات التي تنظم العلاقة بين الأقوال، مثل: لكن، بل، حتى، لأن، إذن، لذلك، غير أن. وهي لا تربط الجمل ميكانيكياً، بل تحدد اتجاه الاستنتاج. فإذا قيل: "هو شاب، لكنه حكيم" فإن "لكن" لا تضيف معلومة فقط، بل تعارض توقعاً ضمنياً يربط الشباب بقلة الخبرة. وقد جعل عز الدين الناجح العوامل الحجاجية في العربية مجالاً مستقلاً يوضح كيف تشتغل الأدوات داخل السلم الحجاجي (الناجح، ٢٠١١، ص. ٢٠).

العوامل الحجاجية تختلف عن الروابط لأنها لا تصل بين قولين دائماً، بل تعدل قوة القول الواحد. ومن أمثلتها: إنما، ما... إلا، حتى، لا سيما، بل، قد، لقد. فهذه العناصر تصنع درجة من الحصر أو التوكيد أو الترجيح أو الاستبعاد. وعندما يقول المتكلم: "إنما النجاح بالعمل" فهو لا يخبر بعلاقة بين النجاح والعمل فحسب، بل يقصي ضمناً أسباباً أخرى ويجعل العمل سبباً أرجح. لذلك تبدو أدوات القصر والتوكيد من أكثر وسائل العربية قدرة على بناء الإلزام الحجاجي (العزاوي، ٢٠٠٦، ص. ٢٧).

أما البنى التركيبية فتشمل التقديم والتأخير، والشرط، والاستثناء، والنفي، والقصر، والاستفهام، والنداء، والأمر. فالشرط مثلاً يبني علاقة سببية أو احتمالية بين مقدمة ونتيجة، والنفي قد يكون أداة تفكيك لدعوى خصم، والاستفهام قد يوجه المتلقي إلى جواب لا يصرح به المتكلم. وقد بيّن عبد الهادي الشهري أن استراتيجيات الخطاب تتعلق باختيار المتكلم لما يناسب قصده وسياقه وعلاقته بالمخاطب، وهو ما يجعل البنية النحوية جزءاً من خطة خطابية عامة (الشهري، ٢٠٠٤، ص. ٥٥).

ومن أهم الآليات البلاغية الاستعارة والتمثيل والكناية والتكرار والمقابلة والطباق. فالاستعارة قادرة على نقل الحجة من مجال إلى آخر؛ إذ تجعل الفكرة المعقدة قابلة للإدراك عبر صورة مألوفة. والتمثيل يمنح الدعوى شاهداً محسوساً أو قصصياً. والمقابلة ترتب القيم في ثنائيات تجعل أحد الطرفين مرغوباً والآخر منفراً. ولهذا لا ينبغي النظر إلى الصور البلاغية بوصفها عناصر جمالية منفصلة عن الإقناع، بل بوصفها وسائل لإنتاج القبول وترتيب الانفعال (الجرجاني، ٢٠٠١، ص. ٥٤).

وتدخل الشواهد في صلب الحجاج العربي، سواء كانت قرآنية أو شعرية أو مثلية أو تاريخية. فالشاهد لا يقدم دليلاً معرفياً فحسب، بل يستدعي سلطة ثقافية مشتركة بين المتكلم والمتلقي. وقد درس عبد الله صولة الحجاج في القرآن من خلال خصائصه الأسلوبية، مبرزاً أن قوة الخطاب القرآني تقوم على انتظام أسلوبي يزاوج بين البرهنة، والتذكير، والسؤال، والتمثيل، وبناء المقابلات (صولة، ٢٠٠١، ص. ٨٦).

**الأدوات التداولية: المقام، المتكلم، المخاطب**

لا تكتمل آليات الحجاج إلا باستحضار المقام؛ لأن الأداة اللغوية لا تعمل بالقوة نفسها في كل سياق. فالمتكلم يختار بين التصريح والتلميح، وبين الإطناب والإيجاز، وبين اللين والشدة، وفق صورة المخاطب ودرجة قربه ومعرفته السابقة. وتكشف التداولية أن الحجاج ليس سلسلة أدلة معزولة، بل تفاوض على المعنى داخل علاقة اجتماعية. وقد جعل طه عبد الرحمن العلاقة بين القول والعقل والأخلاق أساساً لتقييم الخطاب، بما يفتح مجالاً للتمييز بين الحجاج المنتج للحوار والحجاج القائم على الإكراه أو التلبيس (طه عبد الرحمن، ١٩٩٨، ص. ٢١٣).

وتتجلى صورة المتكلم أو الإيتوس في الخطاب العربي من خلال علامات العلم، والورع، والخبرة، والانتماء، والنزاهة. فالخطيب لا يقنع بالمعلومة وحدها، بل يقنع أيضاً بالصورة التي يبنيها لنفسه. وإذا ظهر المتكلم عادلاً أو عالماً أو قريباً من الجمهور، ازدادت قابلية خطابه للتصديق. وقد أعاد محمد مشبال قراءة الإيتوس ضمن بلاغة الحجاج، مبيناً أن تحليل الخطابات لا يكتمل دون دراسة الصورة التي يصوغها المتكلم عن ذاته داخل النص (مشبال، ٢٠١٧، ص. ٤٣).

أما المخاطب فليس مستقبلاً سلبياً، بل شريك في إنتاج الأثر الحجاجي. فالمتكلم يقدر اعتراضاته، ويستبق أسئلته، ويستثمر مسلماته. لذلك يختلف الحجاج الموجه إلى جمهور متخصص عن الحجاج الموجه إلى جمهور عام. وقد أسهم حافظ إسماعيلي علوي في إبراز تعدد مجالات الحجاج وتداخلها مع البلاغة والقانون والسياسة والتربية، وهو ما يدل على أن المخاطب يتغير بتغير المجال ومعايير القبول فيه (حافظ إسماعيلي علوي، ٢٠١٠، ج. ١، ص. ١١).

**الحجاج في الخطابات العربية المعاصرة**

في الخطاب السياسي العربي، تتضاعف أهمية الحجاج لأن المتكلم يسعى إلى شرعنة قرار أو تبرير موقف أو صناعة إجماع. وتظهر الآليات اللغوية في استعمال الضمائر الجامعة، والاستعارات الوطنية، والتقسيم الثنائي بين نحن وهم، والتكرار الشعاري، واستدعاء التاريخ. وقد بيّن عماد عبد اللطيف أن تحليل الخطاب السياسي يحتاج إلى الجمع بين البلاغة والسلطة والمقاومة، لأن الإقناع السياسي لا ينفصل عن علاقات القوة التي تنتجه وتتلقاه (عبد اللطيف، ٢٠٢٠، ص. ٣٦).

وفي الخطاب الديني، يتخذ الحجاج شكل الاستشهاد والتفسير والقياس والوعظ وبناء المثال. وتزداد فيه أهمية السلطة النصية واللغوية؛ لأن المتكلم غالباً ما يستند إلى مرجعية عليا تجعل الحجة أقوى من رأيه الشخصي. غير أن هذا النوع من الخطاب يحتاج إلى توازن بين قوة الدليل وسلامة التأويل، حتى لا يتحول الحجاج إلى مصادرة أو انتقاء. وتفيد دراسات صولة في بيان أن الخصائص الأسلوبية ليست مجرد سمات فنية، بل مكونات في بناء الاقتناع الديني (صولة، ٢٠٠١، ص. ٨٦).

أما الخطاب الإعلامي والإشهاري فيعتمد غالباً على السرعة، والتكثيف، والصورة، والشعار، وتوجيه الانفعال. وهنا يظهر الحجاج مختزلاً في عنوان أو صورة أو مقابلة أو رقم. وقد اهتم محمد العمري ببلاغة الخطاب الإقناعي، ولا سيما الخطابة العربية، مبيناً أن الإقناع بنية مركبة من عناصر لغوية ومقامية وجمالية، وأن البلاغة الجديدة لا تلغي البلاغة القديمة بل تعيد توظيفها في تحليل الخطابات (العمري، ٢٠٠٢، ص. ١٢).

وفي النقد الأدبي وتحليل النصوص، صار الحجاج مدخلاً لفهم كيف يبني الناقد دعواه، وكيف يسند أحكامه بالشاهد والتحليل والمقارنة. وقد درس محمد سالم الأمين الطلبة الحجاج في البلاغة المعاصرة بوصفه بحثاً في بلاغة النقد، مما يوضح أن الخطاب النقدي نفسه ليس وصفاً بريئاً للأدب، بل ممارسة إقناعية تسعى إلى حمل القارئ على قبول تأويل معين (الطلبة، ٢٠٠٨، ص. ٤٢).

**البلاغة الجديدة وتوسيع أفق الدرس العربي**

أتاحت البلاغة الجديدة للباحث العربي إعادة النظر في التراث البلاغي من زاوية الإقناع لا من زاوية المحسنات وحدها. فقد صار السؤال المركزي: كيف ينجز الخطاب أثره؟ لا: ما نوع الصورة أو البديع فيه فقط؟ ويؤكد محمد طروس أن النظرية الحجاجية تشكلت عبر تداخل البلاغة والمنطق واللسانيات، ولذلك فإن دراستها في العربية تحتاج إلى مقاربة تقابلية تقرأ التراث من غير أن تسقط عليه مفاهيم حديثة إسقاطاً آلياً (طروس، ٢٠٠٥، ص. ٣١). ويذهب جميل حمداوي إلى أن الانتقال من الحجاج إلى البلاغة الجديدة يعني إعادة الاعتبار للمتلقي والمقام والقيم المشتركة، وهي عناصر ظلت حاضرة في التراث لكنها لم تجمع دائماً في إطار نظري واحد. وتفيد هذه الرؤية في جعل البلاغة العربية علماً لتحليل الخطاب لا مجرد مادة مدرسية لحفظ المصطلحات؛ لأن الحجاج يكشف الوظيفة الاجتماعية والمعرفية للبلاغة (حمداوي، ٢٠١٤، ص. ٢٦).
وقد أسهم محمد مشبال في دفع بلاغة الحجاج نحو مقاربة تحليلية للخطابات، من خلال الجمع بين اللوغوس والإيتوس والباتوس، أي بين الدليل وصورة المتكلم واستثارة المتلقي. وهذا الجمع ملائم للخطاب العربي لأن كثيراً من نصوصه تجمع بين البرهان والنصح والتأثير الوجداني. لذلك يصبح التحليل الحجاجي قادراً على تفسير لماذا تنجح عبارة موجزة في مقام معين، بينما تفشل حجة مطولة في مقام آخر (مشبال، ٢٠١٧، ص. ١٨٨).

**إشكالات الدرس الحجاجي العربي**

على الرغم من ثراء الدراسات العربية في الحجاج، ما زالت هناك إشكالات منهجية تحتاج إلى ضبط. أولها اضطراب المصطلحات بين الحجاج والاحتجاج والجدل والمناظرة والبرهنة، وثانيها الميل أحياناً إلى تطبيق النظريات الغربية مباشرة على النصوص العربية من غير مراعاة خصوصية البنية اللغوية والموروث البلاغي، وثالثها قلة الدراسات التي تجمع بين التحليل اللغوي الدقيق والتحليل المقامي والاجتماعي. وقد نبه حافظ إسماعيلي علوي إلى اتساع مجالات الحجاج وحاجته إلى حوار بين التخصصات، وهو تنبيه مهم لأن الحجاج لا يخص البلاغة وحدها (حافظ إسماعيلي علوي، ٢٠١٠، ج. ١، ص. ١١).
ومن الإشكالات أيضاً أن بعض الدراسات تتعامل مع الروابط الحجاجية تعاملاً معجمياً، فتكتفي بإحصاء الأدوات دون تحليل أثرها في سير النص. والصواب أن الأداة لا تصير حجاجية إلا داخل مسار استدلالي. فـ"لكن" مثلاً قد تكون استدراكاً بسيطاً، وقد تكون قلباً لاتجاه الحجة، وقد تكون وسيلة لحفظ ماء وجه المخاطب قبل الاعتراض عليه. وهذا ما يجعل التحليل الحجاجي محتاجاً إلى الربط بين الجملة والنص والمقام (الشهري، ٢٠٠٤، ص. ٥٧).
كما أن العلاقة بين الحجاج والأخلاق تحتاج إلى مزيد من العناية. فليست كل قدرة على التأثير حجاجاً مشروعاً؛ فقد تستعمل الأدوات نفسها في التضليل والمغالطة والتلاعب. ومن هنا تبدو مساهمة طه عبد الرحمن مهمة لأنها تربط القول بالمسؤولية، وتضع التخاطب ضمن أفق قيمي يمنع اختزال البلاغة في

السيطرة على المتلقي. فالحجاج العلمي أو الأكاديمي ينبغي أن يقود إلى الإفهام والاقتناع الحر، لا إلى الإكراه الرمزي (طه عبد الرحمن، ١٩٩٨، ص. ٢١٣).

**نحو نموذج إجرائي لتحليل الحجاج اللغوي**

يمكن أن تنتهي المراجعة النظرية إلى نموذج إجرائي يفيد الباحث في تحليل الحجاج اللغوي داخل الخطاب العربي. يبدأ هذا النموذج من تحديد الدعوى المركزية التي يريد النص تثبيتها، ثم تحديد الدعاوى الفرعية التي تمهد لها أو تدافع عنها. ولا يكفي في هذه المرحلة استخراج الجمل التي تبدو تقريرية، بل ينبغي النظر إلى ما يتركه النص ضمنياً؛ لأن كثيراً من الخطابات العربية تفضّل الإيحاء على التصريح، وتبني قوتها من المسكوت عنه بقدر ما تبنيها من المنطوق. لذلك يكون تحليل الاستراتيجية العامة للخطاب خطوةً أولى قبل تفكيك الأدوات الجزئية، حتى لا تتحول الدراسة إلى إحصاء مفردات معزولة عن مقصدها التداولي (الشهري، ٢٠٠٤، ص. ٩٤).

وتتمثل الخطوة الثانية في جرد البنية النصية للحجاج: كيف يفتتح النص دعواه؟ وكيف يرتب الشواهد؟ وأين يضع الاعتراض المتوقع؟ ومتى ينتقل من العرض إلى التقويم؟ إن النص المقنع لا يعرض الأدلة عرضاً عشوائياً، بل ينظمها في تتابع يهيئ القارئ لقبول النتيجة. ولهذا ينبغي للباحث أن يربط بين الانسجام النصي وسير الحجة، لأن الإحالة، والتكرار، والتدرج، والعودة إلى الفكرة المركزية، كلها وسائل تجعل النتيجة تبدو طبيعية لا مفروضة. وبهذا المعنى يكون الانسجام النصي شرطاً من شروط الفاعلية الحجاجية لا مجرد خاصية شكلية من خصائص النص (خطابي، ١٩٩١، ص. ٢١).

أما الخطوة الثالثة فتخص تحليل الأدوات اللغوية الدقيقة، وفي مقدمتها الروابط والعوامل الحجاجية، وصيغ التوكيد، والقصر، والنفي، والاستثناء، والشرط، والاستدراك. وينبغي هنا التمييز بين وجود الأداة ووظيفتها؛ فقد ترد الأداة نفسها في نصين، لكنها تسند اتجاهين حجاجيين مختلفين. فـ"إنما" قد تحصر الحكم لتقوية الدعوى، و"قد" قد تفيد التحقيق أو التقليل بحسب المقام، و"حتى" قد ترتب سلماً حجاجياً يجعل العنصر الأخير أقوى مما قبله. ولذلك لا يصح أن تُقرأ الأدوات بمعزل عن النتيجة التي تخدمها وعن الافتراضات التي تستدعيها في ذهن المتلقي (العزاوي، ٢٠٠٦، ص. ٢٩).

وتتعلق الخطوة الرابعة بصورة المتكلم والمتلقي. فالحجة لا تتحرك في فضاء لغوي مجرد، بل تصدر عن ذات خطابية تسعى إلى بناء الثقة، وتُوجَّه إلى متلقٍ له معارف وقيم وتوقعات. ولهذا تفيد مفاهيم الإيتوس والباتوس في تحليل الخطاب العربي، لأنها تكشف كيف يصنع المتكلم مصداقيته، وكيف يستدعي الانفعال دون أن يصرح دائماً بأنه يفعل ذلك. ففي الخطاب الديني، مثلاً، قد تُبنى الثقة من خلال الاستشهاد واللغة الوقورة، وفي الخطاب السياسي قد تُبنى من خلال تمثيل الجماعة والخطر والمصلحة، وفي الخطاب النقدي قد تُبنى من خلال الاختصاص والقدرة على التأويل (مشبال، ٢٠١٧، ص. ١٨٨).

وتتمثل الخطوة الخامسة في اختبار أخلاقية الحجاج، وهي خطوة لا تقل أهمية عن توصيف الآليات. فالتحليل الأكاديمي لا ينبغي أن يكتفي ببيان كيف يقنع النص، بل يجب أن يسأل أيضاً: هل يتيح النص للمتلقي فهماً حراً، أم يدفعه إلى قبول نتيجة عبر التهويل أو الانتقاء أو المصادرة أو التعميم؟ بهذا المعنى يصبح التمييز بين الحجة والمغالطة جزءاً من الدرس اللغوي نفسه، لأن اللغة قد تستعمل للإيضاح كما قد تستعمل للحجب. ومن هنا تبرز قيمة المقاربة التي تجعل التخاطب مسؤولية معرفية وأخلاقية، لا مجرد مهارة في الغلبة والإلزام (طه عبد الرحمن، ١٩٩٨، ص. ٢١٣).

وإذا طبق هذا النموذج على الخطابات العربية الرقمية المعاصرة، فإن الحاجة تزداد إلى أدوات ترصد الاختزال والوسم والتعليق السريع والصورة المصاحبة. فالتغريدة أو المنشور القصير قد يحتوي على حجاج كامل: دعوى، وشاهد، وتصنيف للخصم، واستدعاء لقيمة مشتركة، ودفع لاعتراض محتمل. غير أن كثافة الوسائط الرقمية تجعل الحجاج أكثر سرعة وأقل قابلية للتدقيق، ولذلك يحتاج الباحث إلى الجمع بين تحليل اللغة وتحليل السياق التداولي وشبكات التلقي. وقد بيّن عماد عبد اللطيف أن تحليل الخطاب السياسي لا ينفصل

عن علاقات السلطة والمقاومة، وهو ما يمكن توسيعه لفهم الحجاج في المجال العام الرقمي (عبد اللطيف، ٢٠٢٠، ص. ٣٦).

ويمكن دعم هذا النموذج ببناء بطاقة تحليل ثابتة تتضمن: نوع الخطاب، والدعوى المركزية، والروابط، والعوامل، وصور التوكيد، والاعتراضات، والنتيجة، ونمط المتلقي المفترض. وتكمن فائدة البطاقة في أنها تمنع التشتت بين مستويات التحليل، وتساعد على المقارنة بين نصوص مختلفة داخل الحقل العربي نفسه؛ فالخطبة والمقالة والتعليق الرقمي تشترك في مقصد الإقناع، لكنها تختلف في الإيقاع، وطول الحجة، ونوع الدليل، ودرجة التصريح. وبذلك يتحول الحجاج من مفهوم عام إلى أداة تحليل قابلة للإجراء والمراجعة (حافظ إسماعيلي علوي، ٢٠١٠، ج. ١، ص. ١١).

**الخاتمة**

تكشف هذه المراجعة أن الحجاج اللغوي في الخطاب العربي ليس ظاهرة طارئة ولا مفهوماً وافداً بمعزل عن التراث، بل هو أفق جامع بين البلاغة واللسانيات والتداولية وتحليل الخطاب. فقد وفر التراث العربي أدوات دقيقة لفهم البيان، والنظم، والمقام، والتخييل، والشاهد، بينما وفرت الدراسات الحديثة مفاهيم الروابط والعوامل والاستراتيجيات والوظائف التداولية. وتدل هذه المراجعة على أن الحجاج في العربية يشتغل عبر مستويات متداخلة: مستوى الأداة اللفظية، ومستوى البنية التركيبية، ومستوى الصورة البلاغية، ومستوى النص، ومستوى المقام. لذلك فإن أي تحليل حجاجي رصين ينبغي أن يجمع بين الدقة اللغوية والحس البلاغي والوعي التداولي. وتخلص المقالة إلى أن تطوير الدرس الحجاجي العربي يتطلب بناء معجم اصطلاحي أكثر استقراراً، وتوسيع المدونات التطبيقية لتشمل الخطابات السياسية والدينية والإعلامية والرقمية، والتمييز بين الحجاج المشروع والمغالطة، وإعادة قراءة البلاغة العربية بوصفها علماً لإنتاج المعنى والتأثير لا بوصفها علماً للمحسنات فقط. بهذا المعنى يمكن للحجاج اللغوي أن يكون جسراً منهجياً بين أصالة الدرس العربي وحداثة تحليل الخطاب، وأن يمنح الباحثين أداة فعالة لفهم كيفية تشكل الاقتناع في الثقافة العربية.

**المصادر**


- ابن الأثير، ضياء الدين. (١٩٩٩). المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر (تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد). بيروت: المكتبة العصرية للطباعة والنشر.
- بوجادي، خليفة. (٢٠٠٩). في اللسانيات التداولية: مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم. العلمة، الجزائر: بيت الحكمة للنشر والتوزيع.
- الجاحظ، عمرو بن بحر. (٢٠٠٢). البيان والتبيين (تحقيق: علي بو ملحم). بيروت: دار ومكتبة الهلال.
- الجرجاني، عبد القاهر. (١٩٩٥). دلائل الإعجاز (تحقيق: محمد التنجي). بيروت: دار الكتاب العربي.
- الجرجاني، عبد القاهر. (٢٠٠١). أسرار البلاغة في علم البيان (تحقيق: عبد الحميد هنداوي). بيروت: دار الكتب العلمية.
- حافظ إسماعيلي علوي. (إعداد وتقديم). (٢٠١٠). الحجاج: مفهومه ومجالاته: دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة. إربد: عالم الكتب الحديث.
- حسان، تمام. (٢٠٠٦). اللغة العربية معناها ومبناها (ط. ٥). القاهرة: عالم الكتب.
- حمداوي، جميل. (٢٠١٤). من الحجاج إلى البلاغة الجديدة. الدار البيضاء: أفريقيا الشرق.
- خطابي، محمد. (١٩٩١). لسانيات النص: مدخل إلى انسجام الخطاب. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.
- السكاكي، يوسف بن أبي بكر. (١٩٨٧). مفتاح العلوم (ضبط وتعليق: نعيم زرزور، ط. ٢). بيروت: دار الكتب العلمية.
- الشهري، عبد الهادي بن ظافر. (٢٠٠٤). استراتيجيات الخطاب: مقاربة لغوية تداولية. بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة.

- صحراوي، مسعود. (٢٠٠٥). التداولية عند العلماء العرب: دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي. بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر.
- صولة، عبد الله. (٢٠٠١). الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية. بيروت: دار الفارابي.
- صولة، عبد الله. (٢٠١١). في نظرية الحجاج: دراسات وتطبيقات. تونس: مسكيلياني للنشر.
- طروس، محمد. (٢٠٠٥). النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية. الدار البيضاء: دار الثقافة للنشر والتوزيع.
- الطلبة، محمد سالم محمد الأمين. (٢٠٠٨). الحجاج في البلاغة المعاصرة: بحث في بلاغة النقد المعاصر. بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة.
- طه عبد الرحمن. (١٩٨٧). في أصول الحوار وتجديد علم الكلام. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.
- طه عبد الرحمن. (١٩٩٨). اللسان والميزان أو التكوثر العقلي. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.
- عبد اللطيف، عماد. (٢٠٢٠). تحليل الخطاب السياسي: البلاغة، السلطة، المقاومة. عمّان: دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع.
- العزاوي، أبو بكر. (٢٠٠٦). اللغة والحجاج. الدار البيضاء: العمدة في الطبع.
- العمري، محمد. (٢٠٠٢). في بلاغة الخطاب الإقناعي: مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية (ط. ٢). الدار البيضاء: أفريقيا الشرق.
- القرطاجني، حازم. (١٩٨٦). منهاج البلغاء وسراج الأدباء (تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، ط. ٣). بيروت: دار الغرب الإسلامي.
- المتوكل، أحمد. (١٩٨٥). الوظائف التداولية في اللغة العربية. الدار البيضاء: دار الثقافة للنشر والتوزيع.
- مشبال، محمد. (٢٠١٧). في بلاغة الحجاج: نحو مقاربة بلاغية حجاجية لتحليل الخطابات. عمّان: دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع.
- الناجح، عز الدين. (٢٠١١). العوامل الحجاجية في اللغة العربية. صفاقس، تونس: مكتبة علاء الدين.